عدد 11 (1999) ، 119-128

الملاحظة و المقابلة في البحث السوسيولوجي

ملخص

يسعى هذا المقال إلى توضيح تقنيتين أساسيتين (الملاحظة، المقابلة) لما تنطوي عليهما من أهمية فائقة في تحقيق نتائج البحث الميداني السوسيولوجي حيث لا تخلو دراسة سوسيولوجية من استخدام وتوظيف واحدة من هذه التقنيات ويمكن اعتبار هذه المقالة بمثابة محاولة متواضعة، تسعى إلى المساهمة في تحقيق المزيد من الاستيعاب والفهم لهذه التقنيات المتاحة في البحث الميداني، بما يتماشى مع متطلبات الدقة والموضوعية العلمية المطلوبة، وتجاوز الصعوبات التي تعترض الطالب الباحث في استخدامها ميدانيا، لتفادي بعض الأخطاء والمزا لق التي لاحظتها خلال تجربتي المتواضعة في الإشراف على مستوى إعداد ومناقشة مذكرات التخرج.

آمل أن يسهم هذا المقال في إثراء وتعميق معارفهم النظرية، وممارساتهم الميدانية.

أ. مسعودة بيطام
معهد علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينـــة

Résumé

Cet article tente d'apporter un éclairage sur l'utilisation de deux techniques d'approche utilisées dans le travail de recherche sociologique sur terrain (Observation, Entretien). Celles-ci, au vu de l'importance des résultats auxquels ont peut aboutir, ont largement fait leurs preuves.

Ce travail est une contribution à la compréhesion et à l'assimilation de ces techniques utilisées sur le terrain, selon les besoins et l'objectivité scientifique exigés. D'autre part, cet article aidera certainement l'étudiant chercheur à dépasser et à contourner les obstacles rencontrés sur le terrain, tout en leur évitant de commettre les erreurs d'appréciation qu'ils font habituellement et d'améliorer leurs partiques sur le terrain.

تشهد السنوات الأخيرة، اهتماما متزايدا من طرف العلماء و الباحثين بتطوير البحث العلمي، إيمانا منهم بأن تطور المجتمع يتوقف على مدى تطور البحث العلمي فيه، بل حتى أصبح معيارا لقياس مستوى تطور المجتمع وازدهاره. وفي هذا الإطار تتجه الدراسات الحالية نحو التمركز والتمحور حول الجوانب التطبيقية والإمبريقية، نظرا لتعقد الأبنية الاجتماعية وازدياد حاجات ومطالب الإنسان.

وفي خضم هذا التسارع في عالم العلم والمعرفة، خاصة في المجتمعات المتقدمة، وظهور تقنيات حديثة، بالإضافة إلى تطوير التقنيات المألوفة والمتداولة في التراث السوسيولوجي في هذا الإطار تدخل ملاحظاتي حول الجانب الميداني، الذي شكل ولازال يشكل في كثير من الأبحاث والدراسات الإطار المرجعي لاشتقاق العديد من القوانين والنظريات.ودون أن أدخل في تفاصيل هذه الأبعاد الإمبريقيـة، أكتفي بالإشـارة إلى أن علـم الاجتمـاع على غرار العلوم الأخرى، يسعى إلى فهم السلوك الإنساني ودوافعه ونتائجه

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1999

للوصول إلى القوانين التي تحكمه من أجل تقويمه وترشيده، و وضع الخطط اللازمة للحفاظ عليه. ولتحقيق هذا الغرض، يستخدم الباحثون والعلماء مجموعة من التقنيات والأساليب لفهم طبيعة السلوك الاجتماعي. إلا أن طبيعة الموضوع وخصوصيته، وطبيعة الأهداف والتساؤلات والفروض التي يطرحها الباحث، والبيانات المراد الحصول عليها، كل ذلك يفرض على الباحث انتقاء وإختيار التقنية الملائمة لذلك.ونظرا لتعدد التقنيات وتنوعها، فإنني أكتفي بتناول تقنيتين أساسيتين، هما: الملاحظة والمقابلة.

وقد يبدو للبعض أن هاتين التقنيتين، قد أصبحتا مستهلكتين، إلا أنهما في الحقيقة، تعتبران من ثوابت العلم الاجتماعي، التي تتجدد باستمرار، تبعا لإمكانيات الباحث ورؤياه النظرية.

أولا - الملاحظة (OBSERVATION)

يجمع الباحثون والعلماء على أن الملاحظة كأداة تعتبر من أهم الأدوات الرئيسية التي تستخدم في البحث العلمي، ومصدرا أساسيا للحصول على البيانات والمعلومات اللازمة لموضوع الدراسة. وتعتمد أساسا على حواس الباحث، وقدرته الفائقة على ترجمة ما لاحظه وتلمسه من وقائع وأحداث إلى عبارات ذات معاني ودلالات، تنبثق عنها وضع فروض مبدئية، يمكن التحقق من صدقها أو عدم صدقها عن طريق التجريب.أما في البحث السوسيولوجي - الذي هو جزء لا يتجزأ من البحث العلمي.فتستخدم الملاحظة في كثير من الأحيان في الدراسات الاستطلاعية والاستكشافية.

ويرى كل من(Durant, J. P. Et Weil, R.) في كتابهما " علم الاجتماع المعاصر" بأن أداة الملاحظة تعرف بأنها أكثر التقنيات صعوبة (1) لأنها تعتمد على مهارة الباحث وقدرته عن الكشف عن تفاصيل الظواهر، وتحليل العلاقات التي توجد بين عناصرها ومكوناتها، وأنماط السلوك الاجتماعي المراد دراستها، التي لا يمكن فهمها إلا من خلال ملاحظتها ومتابعتها بطريقة دقيقة ومنظمة. إلا أن هذا الأمر ليس بالأمر السهل، حيث أن العلاقات الاجتماعية، هي بناء مركب ومعقد إلى حد ما، يصعب تفتيتها إلى عناصرها وجزئياتها. كما تستخدم أداة الملاحظة أيضا، لرصد ومعرفة ظروف مادية معينة: كالظروف الفيزيقية وظروف العمل، وغيرها.ويبدو جليا أن أداة الملاحظة تستخدم - في كثير من الأحيان - لتحقيق هدف أو أهداف معينة، تستوجب أن يضعها الباحث في الاعتبار قبل الانطلاق والشروع في تطبيقها.كما " أنها شرط مسبق لبناء أحسن بحث ميداني بواسطة مقابلات أو من خلال استبيانات (2).وعليه تفترض هذه التقنية اتخاذ بعض الإجراءات المنهجية والقواعد العامة لتطبيقها، ذلك أنها تسمح بتكوين تصور مؤقت عن الوقائع و المواقف والظروف (موضوع الدراسة)، كما تنبني على ضوئها - في كثير من الأحيان - تصميم خطوات البحث وبناء فروضه ومراحل إنجازه.

وقبل أن يباشر الباحث بملاحظاته ميدانيا، عليه أن يحاول الإجابة على عدة استفسارات و تساؤلات، يطرحها على نفسه تساعده على تحديد ملاحظاته بدقة وانتظام ومن هذه الاستفسارات ما يلي:

1 - ما الذي يريد أن يحققه الباحث من خلال استخدام أداة الملاحظة؟ أو بمعنى آخر، ما هو الهدف الذي يسعى إليه الباحث من الاستعانة بهذه الأداة؟

2 - ما هي نوع البيانات المراد ملاحظتها؟ هل هي أنماط سلوكية، علاقات اجتماعية، ظروف مادية معينة: كظروف السكن، والعمل وغيرها؟.

3 - وهل تفيد هذه البيانات في تعميق وإثراء جوانب الموضوع؟.

كل ذلك يفترض من الطالب الباحث معرفة الموضوع المراد ملاحظته بعناصره وحيثياته.وهكذا، بعد أن يكون الطالب الباحث قد أجاب عن هذه التساؤلات، يتسنى له تحضير ما يسمى بدليل الملاحظة - Guide d' observation، هذا الدليل الذي يتضمن النقاط والمواضيع المختلفة المتوقع ملاحظتها، وذلك قبل نزوله إلى الميدان، حيث يوجه من خلاله ملاحظاته.

إلا أنه يمكن القول، أنه خلال إجراء الملاحظة ميدانيا، قد يكتشف الباحث ويلاحظ بعض الوقائع التي لم يضعها في اعتباره، ولها أهميتها ومدلولها في تعميق جوانب الموضوع، ومن ثم عليه تسجيلها وتدوينها. ويتم القيام بتقنية الملاحظـة كما يقول"محمد علي محمد " " في المواقف الطبيعية دون اصطناع ظروف معينة (3) وهذا يتطلب من الباحث الالتزام بنقطتين أساسيتين تعتبران من المتطلبات المنهجية لتحقيقها، هما:

1 - تسجيل وتدوين الأحداث والوقائع فور وقوعها وكما تجري بالضبط، حتى يتسنى للباحث تحقيق الموضوعية في المعلومات المتحصل عليها، ويضمن أيضا الدقة وعدم النسيان مما يسمح بتحليل السلوك الاجتماعي بكل نزاهة فالملاحظة يجب أن تكون مركزة بعناية وأن تكون موجهة لغرض محدد وأن تسجل بدقة وحرص(4) وقد يستعين الطالب الباحث في هذا المجال ببعض وسائل التسجيل المتوفرة: كأجهزة التصوير وأشرطة الكاسيت والفيديو وغيرها من الوسائل المتاحة والمتوفرة.

2 - لمراعاة متطلبات الصدق والثبات وضمان صحة المعلومات المتحصل عليها عن طريق أداة الملاحظة ، يتطلب ذلك من الباحث الطالب أن يقوم بتسجيل ملاحظاته على فترات متعددة ومتكررة حول المواقف والأحداث (موضوع الدراسة)، حتى يضمن الابتعاد عن الأخطاء الشائعة.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن، هل هناك نماذج وأنواع معينة للملاحظة؟ في الحقيقة هناك عدة تصنيفات(*) ونماذج، فهناك الملاحظة غير المباشرة (المنفصلة) وقد تكون ظاهرة (معلنة) أو مستترة، وهي على ما أعتقد- كثيرا ما يستخدمها طلابنا في بحوثهم، لأنها لا تلزمهم العيش داخل الموقف، وإنما يمكن للطالب الباحث من تسجيل ملاحظاته دون أن يضطر إلى التفاعل مع الجماعة، أو الموقف المدروس كما أنها من جهة أخرى، لا تتطلب وقت طويل إذا ما قورنت بالملاحظة بالمشاركة، التي تفترض من الباحث العيش داخل الجماعة وقد اعتمدت في هذا المقال على التصنيف الذي قدم

من طرف " Durand " وزميله، اللذان يوضحان، بأنه يمكن التفريق بين النماذج المختلفة للملاحظة حسب درجة مشاركة الباحث فيها:

1 - الملاحظة البسيطة: وهي التي من جرائها نحتفظ بالحيادية اللطيفة، ودون أن نشارك في هذه الملاحظة (إلا بالقدر الذي يراه الملاحظ مناسبا).وهذا النموذج يشبه إلى حد كبير الملاحظة غير المباشرة

2 - الملاحظة بالمشاركة: وهي التي تسمح للباحث (وتتطلب منه) احتلال مركزا (أو وضعا)على مستوى المجموعة المدروسة، والمشاركة في حياتها اليومية أو أوقاتها الخاصة الاستثنائية (أعياد، احتفالات، الخ .)(5).

وعليه فإن الملاحظة بالمشاركة تتطلب من الباحث معايشة مجتمع الدراسة، والتي يكون فيها جزء من الجماعة التي ينوي دراستها، وذلك من خلال المشاركة الكاملة في حياتها وفعاليتها اليومية (6) وهذا يتطلب اكتساب عاداتها وتقاليدها وأنماط سلوكها المختلفة، حتى تنشأ بينه وبين المبحوثين علاقات اجتماعية، وثقة متبادلة تسمح له بالحصول على المعلومات المنتظرة.

ومهما كانت أنواع الملاحظة، فإن لكل واحدة مزاياها وعيوبها، وبقدر التزام الطالب الباحث بشروطها ومتطلباتها، بقدر ما يسمح للباحث بإمكانية الحصول على البيانات المراد تحقيقها.

فالملاحظة في حقيقة الأمر كما يقول " تيودور كابلو " هي عملية حرفية تعتمد على المهارة (7).

لأنها تتطلب درجة كبيرة من فنيات الباحث وخبرته وقدرته الفائقة على ملاحظة - ما لا يمكن للرجل العادي ملاحظته - من تفاعل اجتماعي وسلوكات وأفعال، و مواقف مختلفة، وإضفاء عليها معنى ودلالـة. وفي هذا المجال، لا يسعني إلا أن أنبه طلابنا إلى نقطة هامة طالما لاحظتها خلال مناقشتي لبعض مذكرات التخرج، وهي عدم توظيف المعلومات والبيانات التي تحصلوا عليها، عند قيامهم بتطبيق هذه التقنية، سواء ما تعلق بصياغة و تطوير الفروض وبناء الاستمارة، أو في التعليق على الجداول والاستشهاد بها في تحليل المعطيات الميدانية، وإلا ما الفائدة التي جناها الطالب الباحث من استخدامه لهذه الأداة وتضييع وقته وجهده ؟

ثانيا - المقابلـة - Entretien **(**):**

تحتل أداة المقابلة مكانة هامة في البحث السوسيولوجي، وتعتبر من الأدوات الأساسية الأكثر استعمالا وانتشارا في الدراسات الميدانية والإمبريقية، وذلك لما توفره من بيانات ومعلومات حول الموضوع (المراد دراسته) وتعرف بأنها وسيلة لتقصي الحقائق والمعلومات، باستخدام طريقة منظمة، وتقوم على حوار أو حديث لفظي (شفوي) مباشر بين الباحث والمبحوث (المستجيب).و يرى " Durand- " أن هذا الحوار يكون منظما بين الباحث والمبحوث الذي يكون -في أغلب الأحيان - مزودا بإجراءات ودليل عمل - Guide مبدئي لإجراء المقابلة، يتضمن نقاط محددة، تقود عملية إجراء المقابلة (8).وعليه، فإن المقابلة هي مصدر من مصادر الحصول على المعلومات،

وتقوم أساسا على التفاعل المباشرين الباحث والمبحوث . وتعد أداة المقابلة من أكثر التقنيات استخداما و شيوعا، التي لا يمكن للباحث في مجال علم الاجتماع الاستغناء عنها والتغاضي عن إمكانياتها، لما تتيحه من فرص لتحقيق كم هائل من البيانات.

وتتوفر الساحة العلمية على عدد كبير من أنواع المقابلات(***)، يتم تصنيف هذه المقابلات وفقا لعدة اعتبارات، فقد تصنف وفقا للغرض أو الهدف الذي تحققه: كالمقابلة التشخيصية أو العلاجية التي يستخدمها الطبيب مع المريض أو رجل الصحافة أو الرجل العادي، إلخ ... هدفها الحصول على البيانات المراد جمعها. كما قد تصنف المقابلة كذلك تبعا للدور الذي يؤديه القائم بالمقابلة: كالدور الذي يقوم به المرشد والموجه وغيرها إلا أننا في عرضنا هذا، يقتصر المقال على تلك المقابلة التي يعتمد عليها السوسيولوجي كمصدر للحصول على بيانات محددة مسبقا، والتي - في حقيقة الأمر - تختلف جوهريا عن المقابلات السابقة، كما أنها من جهة أخرى تخضع لشروط محددة وواضحة نذكر بعض النماذج منها:

1 - المقابلة الحرة أو العفوية: وهي أداة من أدوات جمع المعلومات، كثيرا ما يستخدمها الباحث في الدراسات الاستطلاعية والاستكشافية.ويلجأ الباحث إلى استخدامها بهدف الإطلاع على جوانب وخبايا الموضوع، الذي يكون غامضا بالنسبة إليه.وفي هذا النوع من المقابلة يترك المجال للمبحوث للتعبير بكل حرية عن آرائه واتجاهاته ومشاعره، ويمتاز هذا النموذج من المقابلة بوفرة الأسئلة وتنوعها وعدم انتظامها، بحيث تسمح للباحث كشف النقاب عن المواضيع والأحداث الغامضة، وتزويده بإستبصارات ورؤى حول جوانب الظاهرة.كما تتيح له فرصة تعديل الأسئلة وتغييرها حسب المواقف المختلفة.ويساهم هذا النموذج من المقابلة في تنمية فروض الدراسة وأهدافها، كما يساهم من جهة أخرى في بناء مقابلات موجهة ومقننة.

2 - المقابلة الموجهة: و هي نوع من أنواع المقابلة يحدد فيها الباحث موضوع معين، ويترك الحرية للمبحوث للتعبير عن رأيه. ويستخدم الباحث هذا النوع من المقابلة بهدف الإطلاع بعمق على جوانب الموضوع، ويفترض من القائم بالمقابلة العمل وفق خطة معينة أو دليل عمل يقود إلى تحقيق الغرض المطلوب، فالباحث هنا يحاول باستمرار أن يقود مسار المقابلة نحو الهدف المحدد في ذهن الباحث. ويساهم هذا النموذج من المقابلة في تعديل فروض الدراسة وتطوير أهدافها، فضلا عن كونه يساعد في بناء استمارة المقابلة وينصح الباحثون بتدوين المعلومات التي يدلي بها المبحوث أثناء المقابلة(الحرة - والموجهة)، أو باستخدام أجهزة التسجيل المتوفرة.

3 - المقابلة المقـننـة أو المنظمة: هي عبارة عن مقابلة رسمية ومحكمة التنظيم تعتمد على الاستجواب بين الباحث والمبحوث بطريقة مباشرة، وتكون الإجابات محددة سلفا بعدة خيارات.

وتفترض هذه المقابلة أن يكون الباحث مزودا بدليل أسئلة أو قائمة من الأسئلة المحددة والمرتبة ترتيبا منهجيا معينا، تتضمن عدة مواضيع فرعية ومقصودة، ترتبط

بموضوع البحث ، يقوم الباحث بالتعرض لها خلال عملية المقابلة، ويوجهها للمبحوثين بطريقة واحدة وبترتيب واحد.

وتعتبر هذه الأداة من الأدوات الشائعة في الدراسات السوسيولوجية، لأنها أكثر علمية من المقابلات الأخرى، لكونها توفر الضوابط اللازمة لصياغة تعميمات علمية دقيقة: كتبويب البيانات، وتحليلها بطريقة كمية. إلا أنه من سلبياتها كونها تجعل المبحوث يتقيد بالخيارات المحددة ، مما يبعده -في كثير من الأحيان -من التعمق في جوانب الموضوع.

وفي هذا المجال أود أن أشير، أنه في أغلب البحوث والدراسات السوسيولوجية، يتم التأكد من صدق فروض الدراسة وتساؤلاتها عن طريق ما يعرف باستمارات البحث الميداني، وعليه أحاول توضيح الفرق بين نوعين من استمارات البحث:-

أ - استمارة المقابلة (استبيان المقابلة)، وهي عبارة عن دليل يتضمن مجموعة من الأسئلة يتم التعرض لها وجها لوجه بين الباحث والمبحوث.أو كما يعرفها " محمد علي محمد " بأنها قائمة من الأسئلة، أو الاستمارة التي يقوم بها الباحث باستيفاء بياناتها من خلال مقابلة تتم بينه وبين المبحوث، أي أنها تتضمن موقف المواجهة المباشرة "(9).

ب - الاستبيان البريدي أو كما يسميه البعض بالإستخبار البريدي: وهو عبارة عن استمارة بحث تضم أسئلة ومواضيع مختلفة ، تتعلق بموضوع الدراسة، ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد، أو تسلم إليهم، وتتم الإجابة عنها من طرف المبحوثين دون وجود الباحث، وبالتالي، يمكن اعتبارها مقابلة غير مباشرة. إلا أن هذا الأسلوب كثيرا ما يستخدم في الدراسات واسعة النطاق التي تشرف عليها هيئات رسمية لتحقيق بعض المشاريع و المخططات.

وعليه، فإن استمارات البحث ، يمكن أن تشمل كل من استمارة المقابلة و الاستبيان البريدي.وهما عبارة عن دليل يتضمن مجموعة من الأسئلة المنظمة والمحددة تحديدا دقيقا. إحداهما يتم تطبيقها وجها لوجه (استمارة المقابلة).أما الاستبيان البريدي فتتم الإجابة عليه من طرف المبحوث دون حضور الباحث.

ويمكن الإشارة، إلى نقطة على قدر كبير من الأهمية، هي أن كل من استمارة المقابلة والاستبيان البريدي، كلاهما ينطوي على إيجابيات وسلبيات، إلا أنهما يخضعان لنفس المتطلبات المنهجية والشروط العلمية، سواء فيما يتعلق ببناء الأسئلة وصياغتها أوالإرتباط المنطقي لها، و ملاءمتها لموضوع الدراسة.

- كيف يتم بناء وصياغة استمارة البحث؟ من البديهي - وكما هو معروف - فإن نتائج البحث السوسيولوجي يتوقف على المعلومات والبيانات المتحصل عليها ميدانيا، من خلال استخدام بعض التقنيات السوسيولوجية المتاحة: كاستخدام استمارة المقابلة، أو الاستبيان البريدي، أو الملاحظة، وغيرها من الأدوات المتوفرة.وحتى يضمن الباحث نتائج دقيقة وموضوعية، فإن ذلك يتطلب منه تحضير وإعداد استمارة بحث تخضع للشروط العلمية والمتطلبات المنهجية المتعارف عليها علميا. ويمكن الإشارة إلى بعض منها في مجموعة من النقاط:-

1 - يتم التفكير في إعداد استمارة البحث ، بعد أن يكون الطالب الباحث قام بدراسة استطلاعية، مكنته من فهم أفضل وتصور أعمق لموضوع دراسته، استوعب أبعاد وعناصر الموضوع بكل جوانبه الرئيسية والفرعية، وأدرك أهمية المعلومات التي يريد الحصول عليها، ومدى ارتباطها وعلاقتها بموضوعه.

2 - يكون الباحث قد حدد عينة البحث التي يجري عليها الدراسة الميدانية : ما هو حجمها، مدى تمثيلها، ما نوعها: عشوائية، طبقية، عمدية وغيرها ؟ وهذا التحديد لا يتم تلقائيا أو كيفما أراد الباحث، وإنما يخضع كذلك إلى نوعية وطبيعة الدراسة ومنهجيتها.

وبعد أن استوفى الطالب هذه الشروط ، يشرع في بناء الاستمارة. وتعتبر هذه المرحلة من أصعب المراحل، لأنها تتطلب كثيرا من الدقة والنزاهة من طرف الباحث. وتفترض بناء استمارة البحث وصياغتها قواعد منهجية معينة تتوفر فيها، نتطرق إلى البعض منها:-

1 - وضع عناوين للموضوعات الفرعية التي تشكل عناصر جزئية مكونة لموضوع الدراسة، على أن تستنبط هذه العناوين من فروض الدراسة ومؤشراتها.

2 - يفترض بناء استمارة البحث وصياغتها اعتماد أسلوب موحد، حيث يتم اختيار وانتقاء المفردات والعبارات المستعملة بشكل دقيق وواضح، بحيث تطابق نفس المعنى الذي يحمله الباحث في ذهنه ، وينصح العلماء والباحثين باستخدام اللهجة التي يفهمها المستجيب، كما تصاغ بلغة الحياة اليومية (10).

3 - يراعي الباحث في صياغة أسئلة الاستمارة الارتباط المنطقي بين الأسئلة من جهة، وبين طبيعة كل سؤال وعلاقته بموضوع الدراسة ومتغيراتها، وغالبا ما يراعي عند ترتيب الأسئلة التدرج من العام إلى الخاص ويسمى ذلك بالترتيب القمعي (11).

4 - اتخاذ الحيطة الأزمة في وضع السؤال، بحيث لا يمس بشخصية المبحوث ولا بإحراجه حول بعض القضايا السرية التي تثير غضب المبحوث، وتصبح عائقا في الإدلاء بآرائه.

5 - من المستحسن تكرار بعض الأسئلة المتعلقة بالاتجاهات الشخصية أو القيم أو المعتقدات بصيغ مختلفة، وذلك لضمان التحقق من صدقها.وهكذا فإن استمارة البحث تتضمن نوعين من الأسئلة :-

أ - أسئلة مغلقة (مقفلة): وهي أسئلة تحمل عدة إجابات جاهزة، أو عدة بدائل واختيارات ممكنة، على أن يختار المبحوث واحدة منها أو عدد منها.

ويستخدمها الباحث لسهولة تحويل المعطيات الكيفية المتحصل عليها عن طريق هذه الأسئلة، إلى بيانات كمية وتسهيل عملية القياس والتحليل الإحصائي.

ب - أسئلة مفتوحة (حرة): وهي أسئلة بدون إجابات جاهزة، حيث تترك فيها الحرية الكاملة للمستجيب للتعبير عن آرائه وأفكاره بدون قيود ولا إلتزامات محددة مسبقا.

وهذه الأسئلة تنطوي على فائدة عظيمة بالنسبة للدراسة، لأنها تكشف عن جوانب متعددة وقضايا خفية لم يضعها الباحث في الحسبان.إلا أنها من جهة أخرى يصعب

تحليلها برموز، حيث تتطلب من الباحث جهدا معتبرا ودراية فائقة من أجل ترجمتها إلى معاني ودلالات.

وأول خطوة يجريها الباحث بعد أن يكون قد انتهى من صياغة الأسئلة وترتيبها ووضع عناوين لها ، يمكنه أن يقوم بتطبيق الاستمارة التجريبية على عدد من المبحوثين، الهدف من ذلك هو اكتشاف مدى صلاحية وسلامة الأسئلة سواء ما تعلق منها بالأسلوب أو الغموض الذي يعتريها، والترتيب المنهجي لها. ثم يشرع الباحث بإعادة ضبطها، مع إجراء التعديلات الأزمة التي لاحظها ميدانيا، وصياغتها في شكلها النهائي.بعد ذلك يجد الباحث نفسه أمام مرحلة جديدة للشروع في تطبيق في هذه الاستمارة ميدانيا.

- ما هي إذن القواعد والإجراءات التي يسترشد بها الباحث عند القيام بالمقابلة ؟

ومن الأمور الملحة عند تطبيق استمارة المقابلة، نشير إلى مجموعة من القواعد:

1 - التعريف بشخصية الباحث حتى يطمئن المبحوث.

2 - شرح وتوضيح الغرض من المقابلة ، والهدف الذي يسعى إليه.وهذا يعتمد على انتقاء المفردات والعبارات الدالة والأزمة لذلك.

3 - محاولة خلق جو مناسب وطبيعي، وتطوير رابطة بينه وبين المبحوث لكسب ثقة المبحوث واطمئنانه.لأن ذلك يساهم بشكل كبير في الاستجابة والإدلاء بالمعلومات الصحيحة من طرف المبحوث، سواء المتعلقة منها بشخصية المبحوث أو المرتبطة بجوانب الظاهرة.

4 - تأكيد الباحث على أن المعلومات التي يتحصل عليها تبقى سرية، ولا تستعمل ضد المبحوث في أي ظروف كانت.

5 - يستحسن توجيه وطرح الأسئلة وفق أسلوب واحد، وبنفس التنظيم لكل المبحوثين، مع مراعاة عدم التدخل من طرف الباحث سواء بالتأييد أو المعارضة، لأن ذلك يؤثر على إجابة المبحوث، وعلى اتجاهه وقناعته.

6 - في حالة عدم إجابة المبحوث على بعض الأسئلة، يستحسن عدم إلحاح الباحث عليه، والرجوع إليها مرة أخرى.

7 - يفضل تسجيل الإجابات بعد الإدلاء بها من طرف المبحوث مباشرة.

8 - يختم الباحث مقابلاته بكلمة شكر للمبحوث.

هذه بعض النقاط والإجراءات المنهجية المستعملة في تطبيق استمارة المقابلة، يفترض أن يراعيها الطالب الباحث ويلتزم بها. والواقع أنه مهما قيل عن نجاعة تقنيات البحث السوسيولوجي الميداني، وما تقدمه من فائدة عظمى في الوصول إلى بعض الحقائق عن أنماط السلوك الإنساني، إلا أن الحاجة تبقى ملحة لمزيد من الجهود لتذليل الصعوبات والعراقيل التي تواجه الباحث في تحقيق الدقة والموضوعية في فهم وتحليل الظواهر السلوكيــة وأبعادها المتشابكة والمتداخلة إن تلك المشاكل تبين لعالم الاجتماع ضرورة تطوير أدوات عمل خاصة به بغية تحقيق الموضوعية التي يجب أن تلازم مثل هذه المعرفة العلمية(12).

مما سبق، يبدو جليا أن هذين التقنيتين شائعتان في الدراسات والأبحاث السوسيولوجية، إلا أن ربطهما بالإطار التصوري يؤدي بنا إلى جملة من الاستنتاجات:

1 - تختلف هذه التقنيات من ناحية المضمون، حسب المداخل النظرية والتوجهات الفكرية، ذلك أن مكونات كل نظرية تستلزم بيانات ومعلومات مختلفة عن الأخرى. فالملاحظة أو المقابلة يستخدمها الباحث بطريقة مختلفة في النظرية الماركسية عنها في النظرية البنائية.

2 - تعتبر هذه التقنيات واحدة من حيث الشكل، ولكن من ناحية المضمون والدلالة والاستخدام تختلف، لذلك كنا نؤكد دائما في مختلف مناقشات مذكرات التخرج على ضرورة مراعاة الإطار التصوري الموجه الأساسي لكل تقنيات البحث، بمعنى ضرورة ملائمة مضمون الأداة لمضمون التصور النظري.

3 - يتفق الدارسون على أن هناك علاقة ارتباط وثيقة بين اختيار المشكلة وتحديدها، وانتقاء الأداة أو الأدوات الأزمة لبلوغ الهدف.

4 - ضرورة الاهتمام والعناية بتطوير تقنيات البحث السوسيولوجي، واستحداث أدوات جديدة، تستجيب أكثر للتحولات التي يشهدها المجتمع الإنساني.

المراجع والهوامش

1- Durand, Jean-Pierre/ Weil, Robert: Sociologie contemporaine, Paris Vigot,1980 , p .223

2- Ibid: p .223.

3- محمد علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، ط 2، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1981، ص .762

4- أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه ، ط 5 ، الكويت، وكالة المطبوعات، 1997، ص341.

(*) للاستزادة في هذا الموضوع، أنظر:
تيودور كابلو: البحث الاجتماعي، ترجمة: محمد الجوهري، ط 1، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 1993، ص .117

5- Durant, J. P. Et Weil, R: Sociologie contemporaine, OP.cit, p.224

6- دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن2، ط 2، بيروت، دار الطليعة، 1986 ، ص 157

7- تيودور كابلو : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص 117.

(**)- يستخدم مفهوم Entretien في اللغة الفرنسية للدلالة على المعنى نفسه الذي يستخدم فيه مفهوم Interview في اللغة الإنجليزية. لمزيد من التوضيح، أنظر:
Madeleine, Grawitz. Methodes des sciences sociales , 8eme edition Paris , Dalloz , 1990 , p p. 741- 742

8- Durand , J . P et Weil , Robert : Sociologie contemporaine, OP. Cit, p . 225.

(***) - المقابلة الحرة أو غير الموجهة -المقابلة الموجهة - والمقابلة شبه الموجهة أنظر على سبيل المثال.
- Durant, J. P et Weil, R: Sociologie contemporaine. OP, cit, p226.

9- محمد علي محمد، مرجع سابق، ص .796

10- خير الله العصار: محاضرات في منهجية البحث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 71.
11- محمد علي محمد، مرجع سابق، ص .804
12- فضيل دليو " مناهج علم الاجتماع بين الحدس والواقع الاجتماعي المعقد " مجلة العلوم الإنسانية، عدد 6، الجزائر،1995 ص ص87 -92.